﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزّمر: 24]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من حُكْمِ القُساة في الدُّنيا إلى حالِهم في الآخرة

لمّا ذكر النَّظمُ الجليل حُكمَ الله تعالى على القاسية قلوبهم بحُكمٍ في الحياة الدُّنيا، وهو الضَّلال التّامُّ، كما قال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾؛ ناسبَ أن يُتبعه بحُكمٍ واقعٍ في الآخرة، وهو العذاب الشَّديد، فقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾[1]، فهو انتقالٌ من أحكام الضّالّين في الدُّنيا إلى حالِهم في الآخرة، ومن المناسبة: أنَّه لمّا بيَّن التَّباينَ بين حالَي أهلِ القلوب اللَّيّنة والقلوبِ القاسية، أتبعه ببيان علَّة ذلك التَّباين[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَتَّقِي﴾: (وقى) أصلٌ يدُلُّ على دَفْعِ شَيءٍ عن شَيءٍ بغيره، يُقالُ: وقَيْتُ الشَّيءَ أقيه وِقايةً ووِقاءً، واتَّقِ اللَّه: تَوَقَّهُ، أي: اجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ كالوِقايَةِ[3]، والمُتَّقي مَن اتَّصَفَ بالاتِّقاء، وهو طَلَبُ الوِقاية، وهو الحَذِرُ المُتطلِّبُ للنَّجاة من شيءٍ مكروهٍ مُضِرٍّ[4]، والاتِّقاءُ: تَكلُّفُ الوقايَةِ، وهي الصَّونُ والدَّفْعُ[5]، والمقصود بالاتِّقاء في الآية: تجنُّبُ المكروهِ، وحِفظُ الشَّيءِ ممّا يُؤذيه، ويُضرُّه[6].

2) ﴿ذُوقُواْ﴾: (ذوق) أصلٌ يدلُّ على اختبارِ الشَّيءِ من جهة تَطَعُّمٍ، ثمَّ يُشتقُّ منه مجازًا[7]، فيُقال: ذُقتُ فلانًا، أي: خَبَرْتُه وبُرْتُه،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 448.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 252.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (وقى).
(4) السّمين، عمدة الحفّاظ: (وقى).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 393.
(6) الرّاغب، المفردات: (وقى).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذوق).

واستذقْتُ فلانًا؛ إذا خَبَرْتَهُ، فلَم تَحمد مَخْبَرتَهُ[1]، فالذَّوق وجودُ الطَّعم بالفَم، واستُعمِل في العذاب بكثرة، قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدّخان: 49]، واستُعمِل في الرَّحمة: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ [هود: 10][2]، فإن كان التَّذوُّق للنِّعمة زيادةً في التَّنعُّم، فالتَّذوُّق للعذاب زيادة في الألم، وهو في الآية مُستعارٌ لإحساسٍ ظاهر الجَسَد؛ لأنَّ إحساس الذَّوْقِ باللِّسان أشدُّ من إحساس ظاهر الجِلْدِ، والمَذوقُ هو العذابُ، فهو جزاءُ ما اكتسبوه في الدُّنيا من الشِّركِ وشرائعه[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

نفيُ مساواةِ أهل الجحيم بأهل الجنَّةِ كنايةٌ عن فظاعة حالِهم

نفتِ الآية الكريمةُ المساواةَ بين هؤلاء الَّذين يخشون ربَّهم، وبين غيرهم ممَّن قسَت قلوبُهم، وانحرفت نفوسُهم عن الحقِّ، فقال سبحانه: أفمن يتقحَّم نارَ جهنَّم، فلا يجد ما يتَّقي به سوى وجهه؛ ليتَّقيَ العذابَ الشَّديد يومَ القيامة، كمَن هو آمنٌ لا يعتريه شيءٌ من المخاوف أو المكروه، ولا يحتاج إلى اتِّقاء المخاوف، بل هو سالم من كلِّ سوء، مُطمئنٌّ في جنَّة الله تعالى، أي: لا يستوي هذا وذاك، ثمَّ قيل لهم تهكُّمًا واستهزاءً: ذوقوا جزاءَ ما كُنتُم تَعمَلونَهُ في الدُّنيا من كُفرٍ وعِصيانٍ[4]، وفي الآية الكريمة تهويلُ عذاب يوم القيامة؛ إذ جرت عادة الإنسان أن يتَّقي الآلام بيديه وجوارحه، فإذا ما اتَّقاها بوجهه الَّذي هو أشرف أعضائه؛ كان ذلك دليلًا على أنَّ ما نزل به في نهاية الفظاعة والشِّدَّة[5].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذوق).
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين، الدّرّ المصون: 5/ 282، والمناويّ، التّوقيف، ص: 172.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 394.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 194، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 251، والمراغيّ، تفسير القرآن: 23/ 162، والزّحيليّ، التّفسير المنير: 23/ 280.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 12/ 216.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

موقعُ الجملةِ الدَّلاليُّ:

الاختيارُ السَّرمديُّ بين نورِ القرآنِ وحرِّ النّيران

جملةُ: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إمّا أن تكونَ مستأنَفة استئنافًا تعليليًّا، جيء بها لبيان علَّة تباين حال المهتدين وحال الضّالّين[1]، فمَن شرح اللّهُ تعالى صدره؛ حالُه مُباينٌ لمَن يتَّقي بوجهه سوءَ العذاب، والتَّعليلُ كامنٌ في المقابلةِ بين الحالَين، وإمّا أن تكونَ الجملةُ اعتراضًا بين الثَّناء على القرآن فيما مضى وقولِه الآتي: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[2].

نوعُ الاستفهامِ وغرضُه:

معنى التَّقريرِ والنَّفي متآيلانِ في المآل

آثرَ النَّظمُ الجليل استعمالَ أسلوبِ الاستفهام في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ على الإخبارِ المُجرَّدِ؛ لما في الاستفهامِ من قوَّة تحريكِ الأذهان، وإثارةِ الأفهام، والاستفهامُ مجازيٌّ، فهو دالٌّ على التَّقرير، والمراد منه: التَّعجيب من الحالة، والمعنى: أفَمَنْ يَتَّقي بِوَجْهِهِ سوءَ العَذابِ كالمنعَّمين في الجنَّة[3]؟ أو أن يكون الاستفهامُ إنكاريًّا، والمقصود من نفي التَّسوية بين الضّالِّ الَّذي هو في العذاب، والمهتدي الذي هو في النَّعيم[4]، فهُم لا يستويان في النَّتيجةِ السَّرمديَّة، والمعنيان متآيلان في المآلِ.

نوعُ الفاءِ ودلالتُها:

الفاءُ إمّا تفريعيَّة على سابقٍ للهمزةِ، أو عاطفة على مقدَّرٍ بعدَها

الفاءُ في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إمّا أن تكون تفريعيَّةً، حيثُ فُرِّع الاستفهامُ على قولِه تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾، والمرادُ من هذا التَّفريع:

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 252.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 392.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 528.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 392.

تعيينُ ما صَدقَ عليه الاسمُ الموصول[1]، أي: الذي يُضلُّه اللّهُ تعالى سيتَّقي بوجهه سوءَ العذاب، وإمّا أن تكون عاطفةً على جملة مُقدَّرة تُفْهَم من مضمون السّياق، أي: أكُلُّ النّاسِ سواءٌ[2]، فمَن يتَّقي بوجهه حَرَّ النّيران؛ ليس كالمنعَّم في الجِنان، وهذا على اعتبارِ أنَّ المعطوفَ عليه واقعٌ بعد الهمزة.

دلالةُ الاسمِ الموصولِ (مَنْ):

كـلُّ خـاسـرٍ لن يُـنـجيَـهُ اتِّـقـاؤه عذابَ النّار

عبَّر النَّظمُ الجليل بالاسم الموصول (مَنْ) في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ للدَّلالة على العموم، فإنَّ انتفاء التَّسوية بين الآمن مِنَ العذاب يومَ القيامة، وبين الَّذي يتَّقي النّارَ بوجهه، هو أمرٌ عامٌّ لا يتعلَّق بمعيَّن، فأفضليَّةُ النّاجي من العذاب عامَّةٌ في كلِّ آمنٍ ناجٍ منه.

بلاغةُ التَّعبيرِ بمفردةِ الاتِّقاءِ مادَّةً وصيغة:

لا مَـفـرَّ مِـنَ الـعـذابِ إلّا بما هو مفرورٌ لأجلِه

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالاتِّقاء في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ للدَّلالة على الوقاية من العذاب، وهو صونُ النَّفسِ عن الوقوع فيه، ودفعُ العذابِ عنها، ودلَّت صيغةُ (الافتعال) على تكلُّف ذلك الاتِّقاء[3]، والاتِّقاء: هو دفعُ السّوءِ خشيةَ الوقوعِ فيه، وأتى النَّظمُ الكريمُ بهذه المفردةِ لبيانِ أنَّ الخاسرَ يوم القيامةِ سيبذل كلَّ ما يملك، ولو كان أعزَّ ما عنده، وهو وجهه؛ ليكون وقايةً بينَه وبين سوءِ العذابِ، وهو ما يدلُّ على شديدِ العذابِ الذي لا مفرَّ منه إلّا بما هو مفرورٌ لأجلِه.

نوعُ الباءِ ودلالتُها في ﴿بِوَجْهِهِۦ﴾:

الباء في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ﴾ للسَّببيَّة، كما

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 23/ 393.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 412.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 393.

يقال: وقى بترسه[1]، ويجوز أن تكونَ للاستعانةِ، أي: اتَّقى العذابَ مستعينًا بوجهه.

توجيهُ تخصيصِ الوجهِ بالذِّكر:

الكنايةُ عن هولِ الموقفِ وعظيمِ العذابِ

خصَّ النَّظمُ الجليل ذِكرَ الوجه دونَ سائر البدن في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ وذلك لأنَّ الوجه أشرفُ أعضاءِ الإنسان، وإنَّ المَرءَ إذا وقع في سوءٍ؛ فإنَّه يُسارع بأن يجعلَ يدَهُ وقايةً لوجهه وفداءً له، فالوجهُ لا يُتَّقى به، بل يُتَّقى بغيرِه لأجلِه؛ فدلَّ ذِكرُ الوجه على أنَّ المراد أنَّهم عاجزون عن الاتِّقاء[2]؛ فـ "إذا كان القادِر على الاتِّقاء يجعل كلَّ ما سوى الوجه فداءً للوجه، لا جَرَم حَسُنَ جَعْلُ الاتِّقاءِ بالوجه كنايةً عن العَجْز عنِ الاتِّقاء"[3] عمومًا، كما دلَّ على أنَّ يده التي هي آلة الوقاية من المخاوف مغلولةٌ مكبَّلة[4]، فهو كنايةٌ عن عُسْرِ الموقفِ، وهولِ العذابِ، وعظيم الألم.

غرضُ تقديمِ ﴿بِوَجْهِهِۦ﴾ على المفعولِ:

تعكيسُ الوسائلِ تنكيسٌ للغايات

قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملة من الجارِّ والمجرور على المفعول به في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ للاهتمام بالمقدَّم؛ تنبيهًا على شدَّة سوءِ الحال، فالوجهُ الَّذي هو أكرم ما في الإنسان اتَّخذه الضّالّون واقيًا من حرِّ النّار، فقدَّمَ ذِكرَهُ تنبيهًا على سوء حالهم؛ إذ جعلوا المخدومَ خادمًا، والمصونَ صائنًا، والغايةَ وسيلةً، وهذا مِن التَّعكيس الدّالِّ على التَّنكيس.

نُكْتَةُ استعمالِ مفردةِ ﴿سُوٓءَ﴾:

لفظُ السّوءِ يشملُ الذُّلَّ والشِّدَّة والألمَ

آثرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ لفظِ السّوءِ دونَ مقارباته كالشِّدَّةِ في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 393.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 336.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 448.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 492.

قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ لأنَّ لفظَ السّوءِ أعمُّ وأدلُّ على المقصود، فسوءُ العذاب يتَّصف بالشِّدَّة والألم والقَهْر والذُّلِّ ضِمنًا، مع دلالته على الكراهة، فالتَّعبيرُ به أنسبُ لقسوة القلوب؛ لأنَّه أتبع نفسَه هواها حتّى قسا قلبُه عن ذِكْر اللّه تعالى[1]، كما أنَّ فيه تنبيهًا على أنَّ العذابَ فيه مساءةٌ لهم مع شدَّته وهوله.

علَّةُ إيقاعِ فعلِ الاتِّقاءِ على سوءِ العذابِ لا على العذابِ:

أوقع النَّظمُ الجليل فعلَ الاتِّقاء على سوء العذاب، لا على العذاب ذاته في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، فلم يقل: (أفمن يتَّقي بوجهه العذابَ)؛ وذلك للدَّلالة على أنَّ العذاب متَّصفٌ بكونه شديدًا سيِّئًا[2]، فإنَّ المُعذَّبين به أقصى ما يتمنّون النَّجاةَ من سوئه، فيتَّقون ذلك بوجوههم الَّتي لا تقي، والعذابُ بالجملة لا يُتَّقى، وإنَّما يُتَّقى ما يصل إلى المُعذَّبين منه، وهذا الواصل هو سوءُ العذابِ.

الواصلُ للمُعذَّبين سوءُ العذابِ، وهو الذي يُتَّقى بما لا يَقي

نوعُ الإضافةِ وبلاغتُها في ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾:

أضاف النَّظمُ الجليل لفظَ ﴿سُوٓءَ﴾ إلى ﴿ٱلْعَذَابِ﴾ في قولِه جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، والمراد: وصفُ العذابِ بالسّوء، أي: يتَّقي العذابَ السَّيِّئَ الشَّديدَ[3]، فهو مِن إضافة الصِّفة إلى الموصوف بها[4]، ولم يقل: (العذابَ السَّيِّئَ)، بل قدَّم الصِّفة، فأضافها لموصوفها اهتمامًا بها، وتنبيهًا على شدَّتها، وأنَّها هي موضعُ العِبرةِ.

إضافةُ الصِّفةِ إلى موصوفِها أشدُّ في التَّهويلِ والوعيدِ

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلْعَذَابِ﴾:

عرَّف النَّظمُ الجليل العذابَ بالألف واللّام في قوله جلَّ شأنه:

العذابُ المعهودُ في الأذهانِ هو عذابُ جهنَّم

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 492.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 252.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 252.
(4) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 336.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، والتَّعريف عهديٌّ، والمراد به العذابُ الذي ذُكِر في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [الزّمر: 19]، فالعذاب الذي يتَّقيه أهلُ النّارِ بوجوههم هو العذاب الَّذي حقَّ عليهم، وهو عذابُ جهنَّم.

علَّةُ انتخابِ مفردةِ العذابِ دونَ العقابِ:

مـراعـاةُ سياقِ الكلامِ أصلٌ في اختيارِ المفردات والأساليب

آثرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردةِ العذاب في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ دونَ العقاب، وذلك لأنَّ المقصودَ هو بيانُ عذابِهم في النّارِ، لا التَّنبيهُ على العقوبةِ الَّتي لاقاها هؤلاءِ المُعذَّبون بسببِ أعمالِهم، فالسّياقُ سياقُ تهويلٍ وترهيب، لا تنبيه على جزاء الذُّنوب والأعمال.

فائدةُ التَّقييدِ بذِكرِ يومِ القيامة:

تنبيهُ العبادِ إلى ضرورةِ المسارعةِ إلى التَّوبةِ والإنابة

قيَّد النَّظمُ الجليل العذابَ بكونه يومَ القيامة في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ للإشارة إلى انتفاء النَّجاة منه، وقد تقرَّر أنَّ ذلك اليوم لا وليَّ فيه ولا نصير، فأنّى لهم النَّجاةُ، فأفاد القيدُ الانتقالَ إلى زمنِ الحسرةِ الذي لا مرجعَ عنه لمَن وصله، ولا محيدَ عنه لمَن بلغه، فيومُ القيامةِ هو الفاصلُ بين زمن التَّكليف وزمن الحساب والجزاء، ففي ذِكْر القيدِ فائدةٌ عظيمةٌ، وهي تنبيهُ العبادِ على ضرورةِ المسارعةِ إلى الإنابة والتَّوبة قبلَ مجيءِ الموتِ المُفضي إلى دار النَّدامةِ.

سرُّ حذفِ المقابلِ الضِّدّي:

تـمـحـيـضُ الخطابِ لتهويل عذاب الكافرين والإيـمـاءِ إلى نعيم المؤمنين

آثرَ النَّظمُ الكريم حذفَ المستفهَم عنه في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، والتَّقدير: (أفمن يتَّقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمِنٌ من العذاب)، فتركَ ذِكْر الخبر[1]، وقد أفاد هذا الحذفُ تهويلَ شأنِ العذاب

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 448.

تقريعًا للكافرين وتهجيجًا لهم[1]، وإرشادًا للمتلقّي إلى أنَّ المقصودَ هو تبكيتُ المعذَّبين، لا المقارنةُ بين الفريقين، وإن كان ذلك ملموحًا إيماءً وإشارةً، لا تصريحًا وعبارةً.

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

اجتماعُ العذاب الجسديِّ والنَّفسيِّ إيغالٌ في التَّنكيل

افتتح النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ بالواو، وتحتمل أن تكون للعطف، فهي تعطف (قيلَ) على قوله: ﴿يَتَّقِى﴾، والتَّقدير: ويقالُ لهم من جهةِ خَزَنةِ النّارِ[2]، فقد جمع لهم بين العذاب الجسديِّ والعذابِ النَّفسيِّ المتحصِّل من تقريعهم بذلك القول، وتحتمل أن تكونَ الواو حاليَّةً، فتكون الجملة للتَّذييل، أي: ويُقال لهؤلاء وأشباههم[3]، فيفيدُ الحالُ أنَّ اتِّقاء النّارِ بالوجه يكون في حالة تلقّيهم ذلك القول.

نُكْتَةُ التَّعبير بالقول مادَّةً وصيغةً:

تمثيلُ وقوعِ العذابِ باعتبارِه خبرًا عمّا سيكون

عبَّر النَّظمُ الجليل بالقول في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؛ لأنَّ إسماعَهمُ الأمرَ بتذوُّق العذاب زيادةٌ في شدَّة العذاب، فهو نوعٌ من العذاب النَّفسيِّ، وجاء التَّعبيرُ بصيغة البناء للمفعول؛ لأنَّ المراد مطلقُ التَّوبيخ والتَّقريع، لا بكونه من مُعيَّن[4]، وعبَّر بالفعل الماضي مع أنَّه واقعٌ في المستقبل؛ للدَّلالة على تحقُّق وقوعه، فنزَّله منزلةَ فعلٍ قد حصل، ومضى، ويجوز أن تكون جملةُ: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ في موضع الحال بتقدير (قد)، ولذلك لا يحتاج إلى تأويل صيغة المُضيِّ على معنى الأمر المحقَّقِ وقوعُه[5]، أو لأنَّه إخبارٌ عمّا سيحصل لهم يومَ القيامةِ، فنُقِل الخبرُ باعتبارِ ما هو كائنٌ في المستقبل، فهو تمثيلٌ للمشهد يومئذٍ.

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 516.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 252.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 394.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 492.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 394.

نوعُ اللّامِ ودلالتُها:

استعمل النَّظمُ الكريم حرفَ (اللّام) في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾، ومعناها التَّبليغ، فالمقصودُ بهذا القول هو تبليغ الظّالمين بمضمون الخطاب.

بلاغةُ إظهارِ ما حقُّه الإضمار:

سلوكُ سبيلِ الظُّلم هو العِلَّة في سوء العذاب

وضع النَّظمُ البليغ الاسمَ الظّاهر موضعَ المُضمر في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾، فلم يقل: (وقيل لهم)؛ وذلك لتسجيل ظُلْمهم وإظهاره، وبيانِ علَّة الأمر بتذوُّق العذاب، أي: إنَّ ذلك كان بسبب الظُّلم[1]، كما أنَّه يدلُّ على أنَّ الحُكم عامٌّ في كلِّ ظالم، وليس خاصًّا بالمخاطَبين[2].

معنى تعريفِ لفظِ (الظّالمين):

العذاب شامل لكلِّ ظالم

عرَّف النَّظمُ الجليل الظّالمين بـ (ال) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، والألف واللّام إذا دخلت على مشتقٍّ؛ أفادتِ الموصوليَّةَ، فكأنَّه قيل: (وقيل للذين ظلموا)، مع إفادتها للجنس، والمرادُ عمومُ الظّالمين، فالخطابُ شاملٌ لكلِّ أحدٍ منهم[3]، فيدخلُ في ذلك الظّالمون الذين أتَوا الظُّلمَ العقديَّ والسُّلوكيَّ وظُلْمَ الآخَرين، فكلٌّ يُحاسَب على ما كسبته يداه.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ:

رسوخُ ظُلْمِ الظّالمين سببُ الوعيدِ الشَّديدِ

جاء التَّعبيرُ باسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، دون أن يُعبِّر بالاسم الموصول الَّذي هو ترجمةُ اسم الفاعل؛ للدَّلالة على رسوخ صفة الظُّلم فيهم، وأنَّهم استحقّوا سوءَ العذابِ بسببِ كسبهمُ العظيمَ في الدُّنيا.

---

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 252.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 492.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 492.

نُكْتَةُ جمعِ لفظِ (الظّالمين):

كلُّ الظّالمين إلى جهنَّم يحشرون

جاء التَّعبيرُ بصيغة الجمع في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ ولم يقل: (وقيل له)؛ مراعاةً لمعنى الجمعِ في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ﴾ دون لفظِ الإفراد، لتعيين كلِّ الظّالمين، فهُم على كثرتِهم مشمولون في هذا الحُكم، وأنَّ كثرتهم تلك لم تُغنِ عنهم شيئًا[1]، بل كانت سببًا في شديد الوعيد.

بلاغةُ استعمالِ مفردة الذَّوقِ:

ألـمُ الـعـذابِ يـبـلـغ الـكـافـرَ كبلوغ الطَّعْم إلى اللِّسان

استعمل النَّظمُ الجليل مفردةَ الذَّوق في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؛ للدَّلالة على مباشرتهم إيّاه[2]، وهو دالٌّ على بلوغ ألمِ العذاب إليهم كبلوغ طعمِ الزّاد إلى لسان المُتذوِّق، ففي اللَّفظِ استعارةٌ تصريحيَّة تبعيَّة؛ إذ شبَّه بلوغَ العذابِ ووصولَهُ إلى جسدِ الظّالمين بتذوُّقِ الطَّعام، فهو مستعارٌ لإحساس ظاهر الجسد؛ لأنَّ إحساسَ الذَّوق باللِّسان أشدُّ من إحساس ظاهر الجِلْد، فوَجْهُ الشَّبهِ قوَّةُ الجنس.

غرضُ الأمرِ ودلالتُه:

التَّهكُّمُ بالظّالمين وتـقـريـعُـهـم بالإهانة

فعلُ الأمر في قوله جلَّ شأنه: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ مستعملٌ للدَّلالة على الإهانة والتَّهوين[3]، وليس المرادُ طلبَ تذوُّقِ العذاب منهم، بل التَّغليظَ عليهم، والتَّقريعَ بإسماعهم الأمرَ بالتَّذوُّق، فخرج الأمرُ عن غرضِه الحقيقيِّ إلى غرضِه المجازيِّ، مع ما فيه من التَّهكُّم بالمخاطَبين؛ فإنَّ العذابَ لا يُذاق.

معنى ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا كُنتُمْ﴾:

سينالُ الظّالمون جـزاءَ كسبِهم مهما كان نوعُه

استعمل النَّظمُ الاسمَ الموصول ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؛ للإشعارِ بالعمومِ، فإنَّ الظّالمين

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 492.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 529.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 516.

سينالون جزاءَ كسبِهم، مهما كان نوعُهُ، وللدَّلالة على أنَّ ما يذوقونه إنَّما هو بسبب ما اكتسبوه كما جاء في صلة الموصول[1].

نُكْتَةُ إيقاعِ فعلِ الذَّوقِ على الموصول:

المبالغةُ في بيان أنَّ الجزاءَ وفْقَ الأعمالِ

أوقعَ النَّظمُ الكريم فعلَ الذَّوقِ في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ على ما كسبوه في الدُّنيا، فلم يقل: (ذوقوا عذاب ما كنتم تكسبون)، فجعل المَذوقَ نفسَ ما كانوا يكسبون؛ مبالغةً مُشيرةً إلى أنَّ الجزاءَ وفقَ أعمالِهم، وأنَّ اللّه عادلٌ في تعذيبهم[2]؛ ليقعَ الارتداعُ عن الغيِّ والظُّلم في الدُّنيا، فإنَّ ما يكتسبه الظّالمون سيلاقيهم عذابًا أليمًا في الآخرة، فنبَّه بذلك على كمال عدلِه فيهم، بحيثُ إنَّ عذابهم هو نفسُه ما كَسَبوه.

نُكْتَةُ ذِكْر فعلِ الكون الماضي:

العذابُ لا يكون على المعاصي العابرة بل على الظُّلم الرّاسخ

أدخل النَّظمُ الجليل فعلَ الكونِ الماضي على الفعل المضارع في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؛ للدَّلالة على الدَّوام والاستمرار، أي: ذوقوا جزاء ما كنتُم تكسبونَه على وجه الدَّوامِ من الكفرِ والمعاصي[3]، وهو يشير إلى إصرارهم على كفرهم وعصيانهم ورسوخهم فيه، واللّه تعالى لا يُعذِّب النّاس على معصيةٍ غير مقصودة، وظُلمٍ عابر، بل يعذِّب الظّالمين على ما استمرّوا عليه، واستوثقوا بعُراه عنادًا وإصرارًا إلى ساعة الموت.

نُكْتَةُ حذفِ المفعول:

كلُّ كسبٍ من الحرام له نصيبٌ من العذاب

حذف النَّظمُ الجليل متعلَّقَ فعلِ الكسبِ في قولِه جلَّ شأنه: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، والتَّقدير: ما كنتُم تكسبونَه من الكفرِ والمعاصي[4]، فحذف ذلك لكون ما كَسَبوه ممّا يوجِب لهم العذابَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 394.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 394.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 252.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 252.

كثيرًا متعدِّدًا من الآثام والكبائر، فدلَّ بالحذف على شمول كلِّ ذلك، كما أنَّ الحذف يُحقِّق التَّوافقَ الصَّوتيَّ في الفاصلة القرآنيَّة.

براعةُ فنِّ الاحتباكِ:

أورد النَّظمُ الجليل قولَهُ جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ على طريقة الاحتباكِ، فقد "ذَكَر الاستفهامَ أوَّلًا دليلًا على حذف متعلِّقه ثانيًا، وما يُقال للظّالم ثانيًا دليلًا على ما يُقال للعَدْل أوَّلًا"[1]. والتَّقدير: أفمن يتَّقي بوجهه سوءَ العذابِ يومَ القيامة كمَن يأتي آمنًا، وقيل للمؤمنين العادِلين: أبشروا بما كنتم تعملون، وقيل للظّالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 493.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»